الطرق التجارية في المغرب الأوسط
ودورها في تنشيط الحركة التجارية

سمير مزرعي

أستاذ مؤقت – قسم العلوم الإنسانية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة أبو بكر بلقايد- الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

ليس بوسعنا أكثر من التّخمين، إذا اعتقدنا بأنّ موضوع الطّرق التّجارية في المغرب الأوسط ودورها في تنشيط الحركة التّجارية في المغرب الأوسط، هو من المواضيع الّتي يجب أن تنال قسطًا من الاهتمام والدّراسة، لما يكتسيه هذا الجانب من الأهمّية البالغة في التّعريف بتاريخ الجزائر الاقتصادي، كما أنّ اختيارنا لهذا الموضوع لم يتأتّى من العدم، وإنّما لمدى قناعتنا بأنّ التّجارة في المغرب الأوسط كانت ميزانا نحكم به على اتّجاه مسار تاريخنا، كما أنّ للموضوع صبغته الخاّصة والمتمثّلة في أنّ الطّرق التّجارية ربطت المغرب الأوسط وأفادته على كافة الأصعدة "تجاريًا وفكريًا وسياسيًا وحتّى حضاريًا" ولم تجعله متقوقعًا على نفسه في إطاره الجغرافي الضّيق بالمقارنة مع المغرب الإسلامي والدّول المجاورة له، وعلى هذا الأساس فقد وجّهنا عنايتنا، وانطلاقًا من ملازمتنا كتب الرّحلات الجغرافية إلى رسم وتحديد خريطة الطّرق التّجارية في المغرب الأوسط، والكشف عن بعض المراسي والحواضر الّتي باتت مجهولة وضائعة في صفحات الكتب. يركّز موضوع البحث على الجانب الاقتصادي من تاريخ المغرب الأوسط، من خلال التّأريخ لأهمّ الطّرق التّجارية الّتي كانت تربطه بالدّول المطلّة على البحر الأبيض المتوسّط، أو الدّول الّتي تحدّه كالمغرب الأقصى والأدنى والسّودان الغربي، وهذا بدوره يعكس لنا أهمّية تاريخ المنطقة وتأثيرها على الجوانب الاخرى كالسّياسية والمجتمع والعلاقات.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٧ فبراير ٢٠١٥
تاريخ قبـول النشـر: ١٢ أبريل ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:

الطّرق التّجارية، الحواضر التّجارية، المنتوجات الزّراعية، الرحلات العلمية، المغرب الإسلامي

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

سمير مزرعي. "الطرق التجارية في المغرب الأوسط ودورها في تنشيط الحركة التجارية".- دورية كان التاريخية.- العدد الثامن والعشرون؛ يونيو ٢٠١٥. ص ١١٧ – ١٢٨.

مُقَدِّمَة

إنّ موضوع الطّرق التّجارية في المغرب الأوسط من المواضيع الّتي يجب على الدّارسين البحث والتعمّق فيها، إذ يكون من الصّعب، بل من عديم الرّؤية أن نفهم تاريخ المغرب الأوسط، دون أن نتناول وبشيء من التّحليل والتّدقيق والتّمحيص تاريخ الحركة التّجارية، فمن خلال هذه الدّراسة يمكننا التّعرّف على الموروث التّاريخي بشقّيه المادي والمعنوي الّتي خلّفته الدّول المستقلّة المتعاقبة في هذا الإطار الجغرافي، فالمصادر الّتي بين أيدينا تحكي قصّة واقعية وتفصيلية للحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب الأوسط، وتطلعنا على الأسباب والعوامل المتحكّمة في ازدهار الحركة التّجارية أو تخلّفها.

ليس لدينا ها هنا مجالاً، للحديث عن المؤثّرات الّتي طبعت الحركة التّجارية، نتيجة لطبيعة الموضوع وضيق صفحات البحث، ولكن سنحاول وبشيء من التّحفّظ والاختصار، أن تناول موضوع الطّرق التّجارية والنّظر إلى مساهمتها في تنشيط حركة المعاملات التجارية، إذ يمكننا رصد عدّة جوانب أخرى تتعلّق بدور أمراء وسلاطين وسكّان الحواضر، وبوسعنا أيضًا إلقاء الضّوء في البحوث السّابقة على مكمّلات ومتمّات هذا الموضوع. إذا لنضع حدًّا لهذه الاعتبارات، ولنقل بأنّ البحث في موضوع الطّرق التّجارية من بابه

الواسع، وما يترتّب عنه من تقديم رؤية عامة ذات طابع شمولي حول التّاريخ الاقتصادي والمبادلات التّجارية، وتحديد أهم المواد والمنتوجات المستوردة أو تلك الموجّهة للتّصدير، يمكننا وبطريقة غير مباشرة من التّعرف على التّوجهات السياسة لهذه الدّول إزاء التّروبج لحواضرهم، وذلك بتأمين الطّرق ومصاحبة القوافل وتسهيل التبادل التّجاري، وينتج عن كلّ هذا بثّ عقائدها ومذاهبها، بالإضافة إلى الاستفادة من علوم الوافدين من الأمصار الأخرى.

وأثناء تناولنا لهذا الموضوع راودتنا عدّة تساؤلات طرحت نفسها بقوّة والّتي مفادها: ما هي أبرز الطّرق التّجارية الّتي عرفها المغرب الأوسط؟ ما هي الأدوار الّتي لعبتها الطّرق والمسالك التّجارية وفيما تمثّلت؟ ماهي أبرز السّلع الّتي كانت تنتجها حواضر المغرب الأوسط والّتي كانت موجّهة للتّصدير، وما هي الأقاليم والأمصار الّتي كانت توجّه إليها؟ ماهي العوامل والأسباب الّتي كانت وراء ازدهار هذه الحركة التّجارية؟ وإذا سلّمنا بأنّ في المغرب الأوسط هناك حواضر تجارية وموانئ كان لها بالغ الأثر في تنشيط الحركة التّجارية داخل المغرب الإسلامي أو خارجه، فإلى أيّ مدى يصدق هذا الرّأي؟

أولاً: أنواع الطّرق التجارية

عرف المغرب الأوسط عبر تاريخه عدّة طرق ومسالك تجارية، سواء كانت برّية أو بحرية، ساهمت كلّها في إنماء وإنعاش الحركة التّجارية داخله وخارجه، ولا يمكننا حصر هذه الطّرق فيما سنقدّمه، بل ذكرنا الأهمّ من المهمّ، ومن أجل ذلك قسّمناها إلى طرق خارجية وداخلية هي كالآتي:

١/١- الطّرق التجارية الدّاخلية:

(١/١)١- طريق تهرت موانئ المغرب الأوسط:

من خلال المصادر التّاريخية نلمس بأنّ طرقًا تجارية كانت تربط مدينة تهرت بعدّة موانئ على الشّريط السّاحلي للمغرب الأوسط، ومن جملة هذه المراسي المعروفة لدى المؤرّخين نجد "ميناء تنس" ومرسى فرّوخ ومرسى الدّجاج ومرسى الخرز، وربّما استعمل أيضًا مرسى مدينة وهران من أجل التّعامل مع قرطبة عاصمة الدّولة الأموية في الأندلس وموانئها المشهورة مثل إشبيلية والجزيرة الخضراء وبلنسية وطرطوشة.

(١/١)٢- تلمسان مدن المغرب الأوسط:

هناك طريق برّي داخلي يخرج من تلمسان وهو محاذي لسفوح جبال الأطلس الصّحراوي (الدّاخلية) الشّمالية إلى غاية المسيلة ثمّ نقاوس ويمرّ بكلّ من بغاية وتبسّة ليصل إلى جنوب المغرب الأدنى، إلاّ أنّ استخدامها كان قليلاً بسبب عدم استقرار الأمن[١] وهناك شبكة طرق برّية تربط بين تلمسان والمدن الزّيانية الأخرى[٢] السّاحلية والدّاخلية مثل طريق مازونة، مستغانم، تلمسان، وهران ومدينة تنس، ولم تقتصر تلمسان على الطّرق الدّاخلية والخارجية فحسب بل وجدت فيها طرق بحرية انطلاقًا من موانئها المعروفة مثل: "هنين، المرسى الكبير، جزائر بني مزغنّاي، بجاية".

تحتوي تلمسان على عدّة شبكات من الطّرق، ويمكن أن نقسّمها إلى صنفين، فالصّنف الأوّل تمثّله الشّبكة الّتي تربط بين أسواق الدّولة ومدنها كافة، وأهمّ ما في تلك الشّبكة الطّريق الّذي يربط غرب البلاد بشرقها فيمتدّ هذا الطّريق من "طنجة، تلمسان، مليانة، جزائر بني مزغناي، بجاية، قسنطينة، بونة، تونس" ويبدوا أنّ هذا الطّريق هو أشهر الطّرق الّتي تربط غرب المغرب الأقصى مرورًا بالمغرب الأوسط وصولا إلى المغرب الأدنى.[٣]

(١/١)٣- طريق بجاية قلعة بني حمّاد:

كانت بجاية حاضرة تجارية وكانت مقصد العديد من التّجار سواء المقيمين في المغرب الأوسط أو التّجار القافلين إليها من الأقاليم الأخرى، والّذي نعرفه من خلال المصادر أنّ هناك العديد من الطّرق التّجارية الّتي كانت تخرج منها، نذكر منها على سبيل المثال الطّريق الّذي كان يتوجّه نحو قلعة بني حمّاد، ولكنّه كان يمرّ بالعديد من القرى منها المضيق وسوق الحدّ وحصن تاكلات وسوق الخميس وحصن وارفو وحصن الحديد وسوق الاثنين وتازكا وصولا إلى القلعة.[٤] ومن خلال المسيرة التّجارية يحتمل أنّ القوافل التّجارية كانت تزوّد تجار هذه القرى بما يحتاجونه من المنتجات بغرض تسويقها في الأسواق المحلية الأسبوعية لأجل تلبية حاجات الناس، دون عناء التنقل إلى الحواضر والمدن الكبرى، وما يدلّ على ذلك صراحة هو أنّ القرى كانت تسمّى بيوم سوقها الأسبوعي مثل "سوق الخميس وسوق الاثنين".

(١/١)٤- الطّرق الخارجة من أشير:

اشتهرت مدينة أشير كغيرها من المدن بطابعها التّجاري إذا لعبت دورًا أساسيًا في تنظيم وتسيير الطّرق التّجارية المارة بها والمؤدية إلى مدن المغرب الأوسط الأخرى، فحسب ما يشير إليه البكري يمكننا رصد طريق تجاري يخرج من مدينة أشير ويمرّ عبر مدينة سوق حمزة إلى أن يصل إلى مرسى الدّجاج.[٥] كما أنّ هناك طريقًا آخرًا يخرج من ذات المدينة إلى فزرونة "متيجة" وتشتهر هذه المنطقة بتنوّع مزروعاتها ومسارحها الواسعة وأكثرها إنتاجًا للكتان ومنها يحمل عبر القوافل المارة إلى مدينة جزائر بني مزغناي، كما أنّ هناك طريقًا آخر يضطر ينطلق من القيروان ويمرّ عبر المسيلة ليمرّ بسوق حمزة وصولاً إلى مرسى الدّجاج.[٦]. يمكننا أن نستخلص بأنّ كلّ الطّرق الّتي تمرّ عبر أشير كلّها تؤدّي في نهاية المطاف إلى موانئ المغرب الأوسط، وهذا إن دلّ فإنّما يدلّ على الدّور التّجاري الكبير الّذي بلغته أشير وما جاورها.

٢/١- الطرق التجارية الخارجية:

(٢/١)١- طريق تهرت القيروان:

كانت تربط تهرت بالعواصم المغربية الأخرى طرقا متشعّبة قصد التّجارة بتصدير واستيراد المنتوجات والسّلع، وأمّا القوافل الّتي تتّجه نحو القيروان فكانت تمرّ عبر الأوراس والزّاب[٧] هذا إذا عبرت طريقا تلّيا وإن عبرت طريقًا صحراويًا فإنّها تتّجه إلى وراجلان ثمّ جبال عمّور منتهية إلى القيروان، وقد سارت قوافلها التّجارية

حتّى إلى المشرق الإسلامي.[٨] إنّ التّطرّق إلى هذه الطّرق يوضّح لنا طبيعة العلاقات التّجارية الطّيبة والحسنة بين المدينتين[٩] وهذا كان عاملاً مناسبًا من أجل تنشيط الحركة التّجارية، ويقول ابن الصّغير في هذا الصّدد: "ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلاّ استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم".[١٠]

(٢/١)٢- طريق تهرت فاس:

تأخذ القوافل المتّجهة نحو فاس طريقًا يمرّ عبر ممالك "ابن مسّالة الهوّاري" ومنها إلى مدينة يقال لها "يلل" ومنها إلى مدينة يزرج ثمّ يمرّ الطّريق مارًا بمدينة تلمسان وأحوازها، وتستمرّ القوافل التّجارية مسيرتها نحو نمالته وصولاً إلى مدينة فاس.[١١]

(٢/١)٣- طريق تهرت سجلماسة:

كانت العلاقات السّياسية بين تهرت وسجلماسة طيّبة حسنة تربطها المصاهرة، كما كانت العلاقات مزدهرة بفضل الطّريق الّذي يربط تهرت بسجلماسة وهناك طريق آخر مباشر من تهرت إلى فاس ثمّ سجلماسة،[١٢] فكان اليعقوبي أوّل من أشار إلى وجود طريق يربط تهرت بسلجماسة،[١٣] فذكر أنّ "مَنْ خرج من تاهرت، سالك الطّريق بين القبلة والغرب سار إلى مدينة يقال لها أوزكا" بها فخذ من زناتة يقال لهم بنو مسرة، ثمّ يواصل اليعقوبي تتبعه للطّريق، فيضيف أنّه من مدينة أوزكا لمَنْ سلك مغربا إلى أرض زناتة ثمّ يسير إلى مدينة سجلماسة، ويضيف اليعقوبي المسير من هذا الطّريق بأنّ "في قرى ليست بآهلة وفي بعضها مفازة" ومن المحتمل أن تكون هذه القرى بمثابة محطّات للقوافل التّجارية المتنقّلة بين المدينتين والمسافة بين تهرت وسجلماسة حسب اليعقوبي عشرة مراحل.[١٤] ولكن لا نعرف على وجه التّحديد هل هو الطّريق الّذي ذكره البكري أو الّذي ذكره الإدريسي حيث يذكر هذا الأخير أنّ الطّريق يمتدّ من تلمسان إلى قرية تارو ثمّ على جبل تامديت ومنها إلى غايات ومنها إلى صدرات ومنها إلى جبل تيوى ثمّ إلى فتات بئر، إلى شعب الصّفا ومنها إلى قرية تامسنان ومنها إلى تقربت وصولاً إلى سجلماسة،[١٥] وتقدّر هذه المسافة بخمسة عشر مرحلة وهذا لا يتفق مع ما ذكره اليعقوبي أو الإصطخري.

(٢/١)٤- طريق تهرت بلاد السّودان:

من أهمّ المعاملات التّجارية الّتي عُرفت بها تهرت كانت مع بلاد السّودان الغربي، وكانت القوافل تسلك ثلاث طرق:

– الطّريق الغربي:

يمرّ هذا الطّريق من تهرت ويمرّ عبر سجلماسة في اتّجاه أودغست الّتي يصف البكري سكانها من إفريقية وغالبيتهم من قبائل برقاجنة ونفوسة ولواته ونفزاوة،[١٦] ويصف البكري هذا الطّريق إذ يقول: "ومن مدينة سجلماسة ندخل إلى بلاد السّودان إلى غانة وبينهما وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة".[١٧] وهكذا؛ كان تجّار تهرت يتنقّلون بسلعهم المختلفة بين أودغست،[١٨] وغانا، واستفادوا كثيرًا من هذه الطّرق التّجارية بين المنطقتين في كسب خبرة التّجار، وفي ظهورهم كقوّة تجارية في المغرب الأوسط.

– الطّريق الشّرقي:

وينقسم هذا الطّريق بدوره إلى فرعين يمرّ الأوّل على مدينة وارجلان الّتي ترتبط ببلاد السّودان ارتباطًا وثيقًا[١٩] في اتّجاه كوكو،[٢٠] ولكنّنا لا نستبعد أن يكون هذا المسلك يمرّ بواحة "وادي ريغ" (تقرت حاليًا) الآهلة بالإباضية والّتي يرد ذكرها في الكثير من المصادر الإباضية،[٢١] ويمرّ الطّريق الثّاني انطلاقًا من جبل نفوسة في اتّجاه كوكو[٢٢] وتعتبر كسجلماسة تمامًا على الطّريق الغربي بوابة ضرورية لاقتحام الصّحراء.[٢٣]

(٢/١)٥- خطّ بجاية ميورقة:

نشط هذا الخطّ التّجاري بفضل العلاقات الّتي كانت تربطهما والّتي امتازت في غالبيتها بالتّصدير والاستيراد، وقد ساعد على ذلك تقابل المدينتين وعلى مداومة الرّحلات بينهما، والّتي ستتضاعف بفعل استقرار بني غانية بجزر البليار؛ الّذين سعوا إلى توطيد علاقاتهم بتجار المدينة فكان الميورقيون يصرفون بضاعتهم من بجاية وبالمقابل يستردون من منتجاتها خاصّةً العبيد.[٢٤]

(٢/١)٦- خطّ جزائر بني مزغنّى ميورقة:

كان أوّل مَنْ استعمل هذا الخطّ هو النّاصر الموحّدي إبّان تحرّك أساطيله في اتّجاه الجزائر الشّرقية في إطار صراعه مع بني غانية، وذلك حسب ما يورده ابن أبي زرع الفاسي،[٢٥] غير أنّ الحميري ذكر أنّ الحملة انطلقت من سبتة نحو دانية فميورقة.[٢٦]

(٢/١)٧- طريق تلمسان فاس:

تسير القوافل التّجارية عبر هذا الطّريق الّذي يربط تلمسان بسجلماسة حيث يمرّ على فاس ومنها إلى صفروي ثمّ إلى تادلة ومنها إلى أغمات ومنها إلى درعة وصولاً إلى سجلماسة،[٢٧] وهناك طريق آخر طويل يمرّ عبر عدّة محطّات منها القرى وعدّة كور وصولاً إلى سجلماسة لكن سالكو هذا الطّريق قلائل إلاّ ندرة في الدّهر، ويبدو أنّ هذه الطّرق الّتي تمرّ عبر تلمسان إنّما وجدت لطبيعة الموقع الاستراتيجي لهذه المدينة والّتي تقع بين التّل والصّحراء فيقول الإدريسي فيها: "ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للدّاخل والخارج منها، لابدّ منها والاجتياز بها على كلّ حال".[٢٨]

(٢/١)٨- طريق تلمسان أوروبا:

لم تقتصر تلمسان على الطرق التجارية الّتي تربطها بالمغرب الإسلامي بما فيها الأندلس، بل عرفت بتجارتها الخارجية مع دول أخرى، فقد تعاملت مع المدن الإيطالية في الضّفة الأخرى، فكانت هناك طرق تجارية بين موانئ المدينة وأوروبا مثل خطّ جنوة مع بلاد المغرب الّذي يمرّ مباشرة بهنين بعد المرور بمرسيليا وبرشلونة، وخطّ ثاني ينطلق من البندقية إلى بلاد المغرب الّذي يمرّ بالإسكندرية، والخطّ المباشر بين إيطاليا والمغرب الأوسط حيث تنتقل السّفن مباشرة بين المدن الإيطالية ومدن المغرب الأوسط وخاصّةً بين البندقية وهنين.[٢٩]

(٢/١)٩- طريق تلمسان إفريقيا السّوداء:

أمّا الطّريق الواصل بين تلمسان، وإفريقيا السّوداء، فهو كذلك عبارة عن شبكة من المسالك الّتي تصل أهمّ مدن الشّمال الإفريقي بوسط القارّة السّوداء وغربها، وهناك طريق آخر شهدته الدّولة العبد الوادية ألا وهو الطّريق الواصل بين وهران وتمبكتو الّذي يمرّ بالنّقاط التّالية: "وهران، مشرية، عين الصّفراء، فيقيق، توات، عين رنّان، مبروك، تمبكتو".[٣٠]

(٢/١)١٠- طريق تلمسان الإسكندرية:

يمتدّ هذا الطّريق من تلمسان وفاس حيث يصل إلى تنس ثمّ يمرّ عبر وادي شلف ويتابع طريقه عبر الزّاب إلى المسيلة، ومن المسيلة يتفرّع هذا الطّريق الرّئيسي إلى ثلاث طرق يمرّ الأوّلان عبر هضاب تلال الأطلس، والثّالث عبر بلاد الجريد وبلاد الزّاب ومن ثَمَّ يدخل إلى المغرب الأدنى حيث يمرّ بالقيروان وصفاقس إلى أن يصل إلى الإسكندرية وهذا الطّريق هو الّذي يسمّيه البكري بالجاده.[٣١]

ثانيًا: دور الطّرق التجارية

١/٢- الرّبط بين المدن:

كانت للطّرق التّجارية دور كبير في ربط مدن المغرب الأوسط سواء فيما بينها أو فيما بينها وبين مدن المغرب الإسلامي الخارجية، ناهيك عن دورها الكبير في سير القوافل التّجارية المحمّلة بالبضائع سواء الخارجة بالصّادرات أو الآيبة بالواردات، فمن خلال اطّلاعنا على المصادر الإخبارية والرّحلات الجغرافية يتمكّن الباحث من معرفة قيمة هذه الطّرق الّتي ربطت المغرب الأوسط، وكثيرًا ما نسمع في النصوص الواردة في المصادر: "ومن مدينة كذا إلى مدينة كذا مرحلتين أو ما شبه ذلك"، فالمقصود من هذا هو المسالك المؤدّية إلى هذه المدن بالإضافة إلى أدوار أخرى سنعكف على ذكرها.

كانت المسالك التّجارية طريقًا للحجّاج والعابرة من المتجوّلين والقاصدين للمدن في أغراض أخرى إذ يروي العبدري في رحلته لمّا رحل إلى تلمسان: "وأغرب ما شاهدته من منصور صاحبة مليكش وهو أنّ جماعة من الحجّاج نحو العشرين وقفوا إليه في محلّة عند بيته فكلّموه في عشائهم فرحّب بهم".[٣٢] يُعَدّ هذا دليلاً قاطعًا على أنّ الطّرق التّجارية استعملت لرحلات الحجّ كما استعملت لرحلات القوافل التّجارية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يورد ابن حوقل في شأن أحد المسالك الّذي يربط بعض المدن الّتي تقع على ساحل المغرب الأوسط بدءًا من مدينة بونة حيث يقول: "وبينها وبين مدينة بني مزغناي مراسي ومنه إلى بجاية (مرسى) ومنه إلى مرسى بني جنّاد ومنه إلى مرسى الدّجاج".[٣٣] فهو بذلك يذكر الطّريق التّجاري السّاحلي الرّابط بين بونة إلى غاية مرسى الدّجاج مرورًا بالمدن السّابقة الذّكر، فكان هذا الطّريق -بغضّ النّظر عن استعماله للتّجارة- كان يستعمل في السّفر لطلب العلم وممرًا لعابري السّبيل لأنّه يمثّل دليلاً واضحًا لسالكيه القاصدين معظم المدن.

٢/٢- الرّحلات العلمية:

إنّ دور الطّرق التّجارية لا ينحصر في ميدان التّجارة والرّبط بين المدن فحسب، بل تعدّدت أدوارها بعدّة أشكال، فإذا أمعنّا النّظر في مساهمة هذه الطّرق والمسالك في المغرب الأوسط، فإنّنا نجد أنّها كانت دليلاً للرّحلات العلمية والجغرافية الاستكشافية، الّتي بفضلها تمكّنا من معرفة الخريطة الجغرافية لمدن وأقاليم ومسالك المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصّة، ومعرفة الأحوال الاجتماعية لسكّانه وقبائله، ونذكر على سبيل المثال من هذه الرّحلات؛ رحلة ابن بطّوطة، فقد ذكر هذا الأخير المدن الّتي مرّ بها مع القافلة الّتي رافقها وهي كالآتي "طنجة، تلمسان، مليانة، جزائر بني مزغناي، بجاية، قسنطينة، بونة، تونس".[٣٤]

وبطبيعة الحال كان الطّريق الّذي مرّ به هو واحد من الطّرق التّجارية الدّاخلية للمغرب الأوسط، كما أنّ ابن بطّوطة عندما عاد من رحلته بحرا نزل بتنس متّجها منها إلى مازونة ثمّ مستغانم ثمّ تلمسان ثمّ ندرومة ثمّ تازى وصولاً إلى فاس ومن جهة أخرى فإنّ محمّد العبدري البلنسي قد سلك نفس الطّريق الّذي سلكه ابن بطوطة تقريبًا، غير أنّه كان أدقّ التّفاصيل من الأوّل، حيث عبر في مسلكه المدن التّالية: "تلمسان، مليانة، جزائر بني مزغنّاي، قسنطينة، بونة، باجة، تونس"،[٣٥] حيث يقول العبدري: "وهذه الرّحلة بدأت بتقييدها في تلمسان، وكانت طريقنا على بلاد القبلة".[٣٦]

ويمكن أن نعطي دليلاً آخر يستطيع الباحث به أن يستقرّ على فكرة أنّ الطّرق والمسالك التّجارية كانت منفذًا للتّرحال والسّفر عبر أقاليم المغرب الإسلامي وحتّى خارجه، فمن خلال رحلة ابن خلدون نتمكن من التّعرف على طريق تجاري ربط المغرب الأقصى والأوسط والأدنى، حيث نجده يتجوّل بين بجاية وبلاد الزّاب "بسكرة، المسيلة" وهنين ليصل إلى تلمسان،[٣٧] وكثيرًا ما كان ابن خلدون يخرج مع القوافل التّجارية قاصدًا المدن إمّا حاجًا تارة، أو مسافرًا إلى المشرق في رحلة علمية تارة أخرى.

فمن خلال هذه النّصوص نستنتج أنّ كلاً من "تلمسان ومليانة وقسنطينة وبونة" كانت مراكز عبور المغرب الأوسط التّجارية، حيث ورد ذكرها في أكثر نصوص الرّحالة الجغرافيين، بحكم تمركزهم على أهمّ الطّرق التّجارية، وبحكم قربها من الشّريط السّاحلي الّذي كان سهل المسلك وأرحم من المسالك الصّحراوية.

٣/٢- التّصدير والاستيراد:

لعبت الطّرق التّجارية دورًا هامًا في المبادلات التّجارية داخل المغرب الأوسط وخارجه، حيث أنّ القوافل التّجارية كانت تعبر هذه الطّرق والمسالك ذاهبة بالصّادرات وآيبة بمنتوجات أخرى، إمّا لضربها في المدن أو لإعادة المتاجرة بها مرّة أخرى، فمثلاً يذكر "صاحب الاستبصار" حول هذه الطّرق إذ يقول في شأن تنس: "يحمل الطّعام إلى الأندلس وإلى بلاد إفريقية والمغرب وهي رخيصة الأسعار"،[٣٨] كما يضيف "ابن حوقل" في نفس المدينة إذ يقول:

"ولسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة كالخراج والجوالي والصّدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الدّاخلة والخارجة والصّادرة والواردة".[٣٩] فمن خلال هذين النّصين يستشفّ أنّ الطّرق التّجارية كانت تستعمل لتسويق المنتوجات المحلّية إلى الأصقاع المختلفة، ونستنتج هذا من خلال ضرب أيّ حصار على أيّ مدينة فإنّ المسالك التّجارية تعطّل وبالتّالي تتأزّم الأوضاع وتظهر المجاعة والأوبئة ولنا في حصار تلمسان من قبل المرينين أكبر دليل على ذلك.[٤٠] فكانت المنفذ والمتنفّس الوحيد لعيش سكّان مدن وأرياف المغرب الأوسط بحكم امتهانهم وممارستهم التّجارة، فقد كانت الطّرق والمسالك العامل الرّئيسي في ازدهار الحركة التّجارية وذلك بتوافرها وتعدّد مسالكها بالإضافة إلى استقرارها وأمنها.

لم تقتصر الحركة التّجارية على مدينة فحسب، بل اعتمدت في أغلب مدن المغرب الأوسط، فمع توفّر الأمن والاستقرار على الطّرق البحرية والبرّية، كانت وجوه موالية شطر المغرب الأوسط، إذ كانت وقتئذ هنين وأرشقول ووهران ومرسى الخرز ومرسى الدّجاج وبونة وتنس أهمّ موانئه في التعامل مع البلدان المجاورة، فكانت السّفن المشحّنة تقصدها مستوردة أهمّ المنتوجات، قاصدة بها الأندلس وجنوة وبيزا وتعود محمّلة ببضائع مرّة أخرى، وينطبق نفس الشّيء على القوافل البرّية الصّحراوية.[٤١]

ثالثا: المراكز التجارية في المغرب الأوسط

١/٣- المراسي التجارية:

(١/٣)١- ميناء هنين:

يعتبر ميناء هنين من أشهر المراسي التّجارية في المغرب الأوسط ويقع هذا الميناء على بعد حولي ٣٠ ميلاً[٤٢] شمال تلمسان وهو بالقرب من مدينة ندرومة،[٤٣] وقد لعب دورًا هامًّا في تنشيط الحركة التّجارية حيث يقول شكيب أرسلان في الحلل السندسية: "عليها سور متقن وأسواق وبيع وشراء وخارجها زراعات كثيرة"،[٤٤] وكان هذا المرسى يحادي مراسي أخرى تقربه مثل مرسى الوردانية وأرشقول وكان مرسى هنين يقابل مرسى ألمرية على الضّفة الأخرى من الأندلس فعرض البحر بينهما مجريان.[٤٥]

(١/٣)٢- مرسى الخرز:

يقع هذا المرسى شرق بونة،[٤٦] وهي مدينة قد "أحاط بها البحر من كلّ جهة إلاّ مسلك لطيف"،[٤٧] وقد كان هذا المرسى في عهد بني حمّاد منطقة صناعية وبها مرفأ لصناعة السّفن" الّتي تغزى بها بلاد الرّوم"،[٤٨] وكان يوجد بها المرجان وهو أنفس مرجان الدّنيا،[٤٩] حيث كان يقصدها التّجار من كلّ حدب وصلب في استخراجه ويباع بالأموال الطّائلة.[٥٠] ويضيف الحميري في هذا الصّدد قائلاً: "وبينها وبين سردانية مجريان في البحر" ومن خلال هذا النّص يفهم أنّ العلاقات التّجارية بين مرسى الخرز وسردانية كانت على أحسن أحوالها، بحكم موقعهما الاستراتيجي وربّما أنّ تبادلها التّجاري كان متعدّدًا من حيث الصّادرات والواردات، وذلك نظرًا لما كانت ينتجه مرسى الخرز من سفن ومراكب بحرية.[٥١] هذا فيما يخص المعاملات التّجارية الخارجية، أمّا فيما يخصّ المعاملات التّجارية الدّاخلية فإنّها عُرفت بقلّة زرعها ومنتجاتها الزّراعية فكانت تعتمد على استيراد قوتها من بوادي العرب المجاورة لها، ولم يقتصر مرسى الخرز على منتجات هذه القبائل في تغطية حاجاته الغذائية بل كان يستوردها من بونة القريبة منه وتكون بهذا قد ساهمت في تنشيط الحركة التّجارية على الصّعيدين الدّاخلي والخارجي.

(١/٣)٣- مرسى الدّجاج:

هو مرسى قريب من مدينة أشير،[٥٢] وهي مدينة "قد أحاط بها البحر من ثلاث جهات"،[٥٣] وبها مرسى مأمون، وهي تُعرف بامتداد أراضيها الزّراعية حيث توفّر بذلك الزّرع والفواكه لسائر سكّانها، كما اشتهر مرسى الدّجاج بتنوّع لحومه ويسر ثمنه.[٥٤] ومن خلال المصادر الإخبارية يتبيّن لنا أنّ مرسى الدّجاج كان يحتوي على مرفأ وأسواق كانت مقصد التّجار من كلّ الأقطار المجاورة.[٥٥] ويجدر بنا الإشارة إلى؛ أنّ هذه المدينة كان يغلب عليها الطّابع التّجاري إذ كان تقابلها من الضّفة الأخرى جزيرة ميورقة، وهذا ما سمح لها من أن تبرز على الواجهة التّجارية لبحر الرّوم وتكون قبلة للتّجار الأندلسيين وغيرهم من أصقاع العالم الإسلامي وغيره بحكم موقعها الفريد.[٥٦]

(١/٣)٤- مرسى الزّقاق (مدينة بونة):

تعتبر مدينة بونة من المدن السّاحلية التّجارية في المغرب الأوسط "وهي من أنزه البلاد"،[٥٧] لما اشتملت عليه من الأمن والاستقرار، ويجدر بنا الإشارة إلى؛ أنّ في هذه المدينة مرسى عرف بـ "مرسى الزّقاق" وهو من المراسي المشهورة وتوجد به مراكب كثيرة حسب ما تشير إليه المصادر وذلك ربّما لغرض التّجارة والارتحال، بالإضافة إلى احتواء هذه المدينة على عدّة أسواق؛ وهو ما كان يوفّر لها أرباحًا طائلة يساهم بها التّجار في إنعاش الحركة التّجارية إذ يقول الإدريسي: "وكان بها أسواق حسنة"،[٥٨] و"تجارة مقصودة وأرباح متوسّطة".[٥٩] وإذا نظرنا برؤية تأمّلية إلى سبب هذه المساهمة في تنشيط الحركة التّجارية نجد أنّ بونة كانت مدينة زراعية حسنت المنبت كثيرة الخيرات مقصد كبار التّجار إذ "تنتج الفواكه الدّواني والقمح والشّعير والكتّان، وبها معادن الحديد الجيّد والعسل والخشب ومن الأنعام البقر".[٦٠]

(١/٣)٥- مرسى مدينة وهران:

تقع هذه المدينة على ساحل المغرب الأوسط، وهي من أشهر وأهمّ المراكز التّجارية، وذلك نظرًا لما تميّزت به من حيث موقعها الاستراتيجي والواقعة بين تلمسان على بعد ثلاثة مراحل كأقصى تقدير.[٦١] وقد اشتهرت هذه المدينة بجناتها وبساتينها الباسقة وكثرة ثمارها وخيراتها، حيث توجد بهذه الحاضرة أنهار كثيرة وأرحاء وعيون،[٦٢] وهذا إن دلّ فإنّما يدلّ على اهتمام أهلها بالزّراعة والتّجارة عمومًا، حيث يقول الإدريسي في هذا الصّدد: "وبها أسواق مقدّرة وصنائع كثيرة وتجارات نافقة".[٦٣]

إنّ هذه المدينة من أعزّ البلاد في المغرب الأوسط لما اشتملت عليه من خيرات وبحيّزها السّاحلي، فهي تملك مرسى ضخمًا تفتح التّجارة منه إلى ما سواه حيث يقابله في الضّفة الأخرى من الأندلس مرسى ألمرية بالإضافة إلى مرساها الصّغير يوجد بها مرسى كبير على بعد ميلين، ويُعَدّ هذا الأخير إلى جانب كبره وانفتاحه على التّجارة الخارجية من أحصن المراسي جغرافيًا وطبيعيًا خاصّةً وأنّه لا يتعرّض للرّياح القوية الّتي تهدّد السّفن، فهذه الميزة جعلته أكثر استقبالاً للسّفن المارّة به سواء التّجارية أو السّفرية.

٢/٣- الحواضر التّجارية:

(٢/٣)١- مدينة تلمسان:

تُعَدّ تلمسان واحدة من أكبر الحواضر التّجارية في المغرب الأوسط، فقد لعبت دورًا هامًّا على الصّعيدين الدّاخلي والخارجي حيث يقول الإدريسي: "هي رصيف للدّاخل والخارج لابدّ منها وللاجتياز بها"،[٦٤] فموقعها الاستراتيجي الّذي يجمع فيه بين التّل والصّحراء مكّنها من أن تكون قبلة للقوافل التّجارية السّائرة بين المحورين الرّئيسين بين الواحات الصّحراوية من جهة وبحر الرّوم والمغرب الأقصى من جهة أخرى، فهي تُعَدّ بذلك "قاعدة المغرب الأوسط".[٦٥] وما يلاحظ هو أنّ إقليم تلمسان كان سببًا في استقطاب الدّخلاء والغرباء، حيث اجتذبت عرب بني هلال وبني سليم خاصّةً[٦٦] الّذين ساهموا في تنشيط الحركة التّجارية، وقد عرف عليهم تاريخيًا أنّهم كانوا يستحوذون على أهمّ الطّرق التّجارية.

كما أنّ تلمسان كانت حاضرة في مجال التّصدير والاستيراد، إذ كانت بها أسواق عُرفت برخائها وازدهارها وتنوّع منتجاتها ساهمت بذلك في تنشيط وتفعيل الحركة التّجارية، إذ يقول العبدري: "وتلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية وبها أسواق قائمة".[٦٧] ولعلّ ما يميّز طرقها التّجارية الخارجية منها والدّاخلة إليها هو الأمن والاستقرار نظرًا لما عرف على سكّانها من ليانة وحسن الأخلاق، الّتي يكتسبون من خلالها ودّ واحترام التّجار الّذين يقبلون عليها وهذا حسب ما يذكره العبدري في رحلته إلى تلمسان حيث يقول: "وأهلها ذو ليانة ولا بأس بأخلاقهم"، كما لا يستبعد أنّ السلاطين الّذين تعاقبوا على حكم تلسمان في عهد الدّولة الزّيانية كانوا مهتمّين بربط علاقات تجارية مع الدّول المجاورة، حيث شهدت تلمسان في عهدهم كلّ هذه العوامل مجتمعة جعلت من تلسمان منفذًا تجاريًا هامًّا إلى البلدان المجاورة، إذ تجمع جلّ النّصوص التّاريخية للرّحالة الجغرافيين، بأنّها بلغت مبلغ التّاج عند السّلطان بالنّسبة للمغرب الأوسط، ناهيك عن الدّور الكبير الّذي قامت به موانئها المعروفة مثل: "أرشقول، هنين، ندرومة" في ربطها بالموانئ الخارجية المقابلة لها من الضّفة الأخرى.

(٢/٣)٢- المسيلة:

بعد أنّ أسّس هذه المدينة أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله سنة ٣١٣هـ، عرفت المدينة ازدهارًا كبيرًا ونموًّا مستمرًّا في المجال التّجاري.[٦٨] وبعد أن ولّي عليها وعل الزّاب علي بن حمدون،[٦٩] استطاع بحنكته وذكائه وتجربته، نشر الأمن والاستقرار اللّذان ساهما في تفعيل الحركة التّجارية الّتي لا يمكنها أن تتحرّك من دون هذين الشّرطين الرّئيسيين، أضف إلى ذلك موقعها الاستراتيجي حيث أنّها تمتلك سهولاً خصبة مثل سهل الحضنة كما هو معروف، ويشتمل هذا السّهل على أراضي زراعية واسعة، ممّا جعل الجغرافيين العرب يؤكّدون على أهمّية موقعها الاستراتيجي والاقتصادي ويبرزون دورها كنقطة مركزية تراقب المسالك الطّبيعية.[٧٠] فمثلاً ابن حوقل يولي للمسيلة أهمّية خاصّة بها فمن خلال ما يورده لنا في رحلته، يمكن التّعرف وبسهولة على أنّ مدينة المسيلة تتحكّم في الكثير من الطّرق التّجارية، ويجعل منها نقطة التقاء هذه الطّرق، حيث يمرّ بها مسلكان هامان الأوّل من القيروان إلى المسيلة مرورًا ببلاد كتامة والأربس، والثّاني يمرّ من القيروان على طبنة وبسكرة وبلاد الجريد، وطريق آخر يمرّ إليها ويعبر إلى فاس مباشرة.[٧١]

فمن خلال تحكّمها في هذه الطّرق التّجارية الخارجية، استطاعت أن تفرض نفسها على السّاحة التّجارية كحاضرة من العيار الثّقيل، وساهمت بدور فعّال في إنعاش الحركة التّجارية خاصّةً إذا قلنا أنّها كانت تحتوي على أسواق، يرجّح أنّها استُغلّت في تصدير واستيراد السّلع والمنتجات، إذ يقول ابن حوقل: "ولهم من السّفرجل المعنّق ما يحمل إلى القيروان"،[٧٢] وهذا يُعَدّ نصًّا صريحًا يدلّنا على أنّ عملية التّصدير كانت تتمّ عبر طرقها التّجارية إلى مدن المغرب الإسلامي المتعامل معها.

ومن خلال النّصوص التّاريخية يمكن رصد بعض المنتجات الزّراعية الّتي كانت تنتجها هذه المدينة وربّما ما زاد عن حاجتهم كان يوجّه للتّصدير، فيورد لنا الحموي أنّ "لأهلها سوائم وخيل وأغنام وأبقار ونبات وعيون وفواكه ومزارع قطن وقمح وشعير"،[٧٣] كما أنّ سكّان المسيلة كانوا من تجّار البربر، فقد اهتمّ أهلها بالزّراعة واتّخذوها مهنة لهم وبزغوا فيها، ويحتمل أنّهم كانوا يتبادلون السّلع في أسواق المدينة أثناء مرور القوافل التّجارية عبرها.

(٢/٣)٣- تاهرت:

من خلال الاطّلاع على المصادر التّاريخية للرّحالة الجغرافيين يمكننا الخروج بفكرة عامة حول مدينة تهرت ودورها الكبير في تنشيط الحركة التّجارية، فمن خلال ما ذكره المقدسي حول هذه المدينة في قوله: "هو بلد كبير كثير الخير رحب رفق طيّب رشيق الأسواق"،[٧٤] يتبيّن لنا أنّ المدينة تميّزت بطابعها الزّراعي، وذلك تبعًا لطبيعة سكّانها الّذين يميلون بدورهم إلى امتهان الزّراعة، ومع مرور الوقت أصبحت تاهرت مقصد العديد من التّجار قصد المتاجرة فيها[٧٥] سواء لبيع منتجاتهم أو لشراء ما يحتاجونه حتّى أنّ المقدسي يقول في هذا الشّأن: "وانتعش فيها الغريب واستطابها اللّبيب"،[٧٦] وهذا دليل على الازدهار التّجاري الّذي عُرفت بها، كما أنّها تحكّمت في الكثير من الطّرق التّجارية الّتي كانت تمرّ بها أو

تنطلق منها إلى ما سواها إذ يورد لنا ابن الصّغير في قوله: "وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتّجارة وضروب الأمتعة".[٧٧] لم تقتصر تاهرت على الطّرق التّجارية الدّاخلية فحسب، بل استولت على الطّرق التّجارية الخارجية إلى سجلماسة والمشرق وما دون ذلك، فقد نشطت تجارتها وشارك فيها كل الرّعايا بمختلف اتّجاهاتهم وانتماءاتهم فشارك فيها النفوسيون والعرب وحتّى الفرس.[٧٨]

(٢/٣)٤- وارجلان:

لقد كانت وارجلان حاضرة تجارية، نظرًا لطبيعتها الصّحراوية، فقد لعبت أدوارًا هامّة حيث أنّها كانت تتحكّم في الكثير من الطّرق التّجارية الّتي تنفذ إلى بلاد السّودان، ويجدر بنا الإشارة إلى؛ أنّ هذه المدينة امتلكها الرّستميون في عهدهم واتّخذوها قاعدة تجارية لهم وهذا حسب ما يورده في شأن هذه المدينة حيث يقول: "والسّفرجل منها (وارجلان) في الصّحراء إلى بلاد السّودان كثير".[٧٩] وإذا قارنا النّصوص التّاريخية الّتي تحدّثت عنها فأنّه يمكننا أن نحكم حكمًا نسبيًا على أنّ وارجلان كانت مركزًا تجاريًا تربط الطّرق التّجارية ببعضها البعض، نذكر على سبيل المثال أنّ طريق المسيلة الّتي كانت تبعد عنها حوالي(١٢) مرحلة،[٨٠] كان يلتقي بالطّرق الّتي تصل وارجلان بغانة وكوغة وقفصة.[٨١]

ومن العوامل الّتي ساعدت وارجلان على كسب هذه المكانة بين كلّ المدن الصّحراوية، هو طبيعة أهلها الّذين تمرّسوا على عبور الطّرق والمسالك التّجارية ومرافقة القوافل التّجارية العابرة والآيبة من بلاد السّودان، إضافة على ذلك أنّ غالبية أهلها كانوا يتشكّلون من عدّة قبائل عرفوا باحترافهم للتّجارة وبغناهم وثرائهم، فكانوا يتجوّلون في بلاد السّودان وبلاد غانة وونقارة، حيث يجلبون منها التّبر ويضربونه في بلادهم، ولا نستبعد أنّهم قد يتاجرون به مرّة أخرى مع النّواحي والأقاليم المجاورة الّتي كانت تتعامل معها.

لم يقتصر أهل وارجلان في تجارتهم بين مدينتهم وبلاد السّودان فحسب، بل كانوا يشكّلون عنصر الوساطة بين بلاد السّودان وبين سجلماسة وبلاد الزّاب،[٨٢] فكانت المنتجات الواردة من بلاد الجنوب تصل إلى أهلها في المناطق السّالفة الذّكر على أيدي تجّار المدينة، وهكذا نلاحظ مدى مساهمتها في تنشيط وتفعيل الطّرق والمسالك التّجارية الّتي تعتبر شريان المغرب الأوسط، وبالتالي ازدهار الحركة التّجارية.

رابعًا: المبادلات التجارية في المغرب الأوسط

١/٤- الصّادرات:

إنّ حواضر المغرب الأوسط لعبت دورًا كبيرًا في ازدهار النّشاط التّجاري بفعل منتوجاتها وقوافلها التّجارية سواء العابرة إلى البلاد الخارجية أو الرّاجعة منها، وعلى رأس هذه الحواضر نجد المسيلة حيث يقول ابن حوقل: "ولهم عليه كروم واجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجتهم"،[٨٣] ممّا يدلّنا على أنّ هذه المدينة كانت تصدّر منتوجاتها إلى الأمصار المجاورة على غرار تحقيق حاجاتها ومتطلّباتها، ويورد نفس المصدر في هذا الشّأن حيث يقول: "ولهم من السّفرجل المعنّق ما يحمل إلى القيروان وأصله من تنس"،[٨٤] فكانت مدن المغرب الأوسط تقوم بعمليّة التّبادل التّجاري فيما بينها وفيما بينها وبين البلدان المجاورة، وهذا فإن يدّل فإنّما يدلّ على تنوّع منتوجاتها وسلعها الموجّهة للتّصدير، ممّا يجعلها قبلة للتّجار الوافدين إلى المغرب الأوسط، وبالإضافة إلى تلك المحاصيل السّابقة الذّكر نجد زراعة القطن والحنطة والشّعير حاضرا عندهم بالإضافة إلى تربية المواشي ولم نلمس في كتب الرّحالة والجغرافيين أنّها كانت موجّهة للتّصدير.

لم تقتصر المبادلات التّجارية على مدينة بعينها فحسب، بل عرف المغرب الأوسط عدّة مدن وحواضر ساهمت بدور كبير في إنعاش التّجارة، فكانت تاهرت وما جاورها هي الأخرى حاضرة، ومن أهمّ منتوجاتها الّتي كانت تحمل إلى بلاد السّودان الأكسية القطنية والكتّانية وأثواب الصّوف والعمائم وأصناف من الزّجاج الأزرق والأصداف والأحجار، كما يحمل إليها النّحاس الأحمر الملوّن ومنتجاته من الأساور والخواتم والخزف ذي البريق المعدني والملح؛ وتعتبر هذه المادّة أهمّ السّلع المتعامل بها مع أهل السّودان إذ يقوا ابن بطّوطة في هذا الصّدد: "وبالملح يتصارف السّودان كما يتصارف بالذّهب والفضّة يقطّعونه قطعًا ويتبايعون به".[٨٥]

إنّ صادرات مدن المغرب الأوسط تنوّعت من حيث المنتوجات ومن حيث الأقاليم المتعامل معها، وذلك نظرًا لموقعها الاستراتيجي الّذي يسمح لها بالقيام بهذا الدّور، فمن خلال المصادر التّاريخية نستنتج أنّ التعامل مع المغرب الأقصى كان يحتل مركزًا هما من حيث التّصدير، فنجد أنّ بونة مثلاً الّتي اشتهرت بإنتاج الحنطة والشّعير،[٨٦] لكن لا نملك نصًّا صريحًا يدلّنا على أنّ هذه المادّة كانت تصدّر إلى المغرب الأقصى، ولكن يبدوا أنّ الفائض منه يسوّق إليه بحكم قرب المسافة وكثرة التّعامل مع هذا الإقليم ولكن الّذي بين أيدينا من الدلائل هو ما أورده ابن حوقل حيث يقول: "ما يحمل منه إلى البلاد النّائية عنه"،[٨٧] كما أنّ جزائر بني مزغنّاي اشتهرت بإنتاجها العسل والسّمن والتّين، ومدينة تنس الّتي ذكرها صاحب الاستبصار بكثرة الزّرع وبخس الأثمان وذكر لنا أنّ منها تؤخذ المنتوجات إلى سائر بلاد المغرب ومن ضمنها المغرب الأقصى.[٨٨]

هذا فيما يخصّ المنتوجات الزّراعية، أمّا فيما يخصّ المنتوجات الحيوانية فقد اشتهرت تهرت بتربية المنتوجات عمومًا الّتي كانت تساق إلى بلاد المغرب حيث يقول الحميري: "وبأراضيها مزارع وضياع جمّة وبها من نتاج البراذين والخيل كلّ شيء حسن، وبها البقر والغنم كثير جدًّا".[٨٩] كما اشتهرت مدينة بونة في المغرب الأوسط بتجارة الصّوف والماشية من الدّواب، أمّا فيما يخصّ المعادن فإنّ هذه المدينة السّالفة الذّكر اشتهرت بمعادنها الوافرة، فحسب ابن حوقل فإنّ يذكر لنا أنّ معدن الحديد كان متوفّرًا جدًّا في هذه المدينة،[٩٠] وقد دخل ضمن صادراتها ولكن لم يحدّد لنا

الأقطار الّتي كانت تتعامل معها في تصدير هذه المادّة، ومن الرّاجح أنّها كانت تصدّره إلى كافة المغرب بما فيه الأدنى والأقصى، أمّا من مدينة تلمسان فكان يحمل منها إلى الخارج الصّوف وسروج الخيل إلى أقاليم المغرب.[٩١] ومن صادرات المغرب الأوسط ما يورده الإدريسي حول مدينة تنس الّتي تصدّر منها سائر الحبوب، حيث يخرج منها إلى كلّ الآفاق في المراكب حيث يقول: "وبها من الفواكه كلّ طريفة ومن السّفرجل الطّيب المعنّق ما يفوت الوصف في كبره ووصفه"، وليس بالغريب إذا قلنا بأنّ السّلعة الأكثر جودة، هي الأكثر طلبًا وتسويقًا وتصديرًا، وهذه الميزة هي الّتي أفصحت المجال لمدن المغرب الأوسط للمساهمة في الحركة التّجارية النّشيطة آنذاك.

من خلال طريقة الأعمدة البيانية الّتي عمدنا إليه في دراسة أهم المنتجات الموجّهة للتّصدير في بلاد المغرب الأوسط يستنتج أنّ القمح والحنطة والشّعير والصّوف يتقدّم في المركز الأوّل من صادرات المدن بمعدّل (٢٦,٩٢) بالمائة، في حين أنّ تصدير المواشي من الأغنام والأبقار يقدّر بحوالي (١٥,٣٨) بالمائة، وهناك صادرات أخرى تراوحت بين الفواكه كالسّفرجل والتّين والتّمور والمعادن بنسبة (٧,٦٩) بالمائة، أمّا المرجان فكان تصديره قليلاً إذ كان معدّله حوالي (٣,٨٤) بالمائة وذلك نظرًا لقلّة المدن السّاحلية الّتي يوجد بها هذا الأخير ولصعوبة صيده، فمجمل الصّادرات كانت عبارة عن المنتجات الزّراعية، وهذا دليل على أنّ أهل هذه المدن كانوا يمتهنون الزّراعة والتّجارة.

٢/٤- الواردات:

بما أنّ مدن المغرب الأوسط كانت مدنًا تجارية فبطبيعة الحال كانت تستورد سلعًا، كما كانت تصدّر منتجاتها، ولعلّ أنّ بين هذه المدن والّتي تأتي في المرتبة الأولى تهرت. فإذا تحدّثنا عن وارداتها في عصر الدّولة الرّستمية فيمكن أن نستخلص ممّا يودره البكري أنّها كانت تتعامل في غالب الأحيان مع سجلماسة، حيث كانت القوافل التّجارية تعبر عبرها أو تستقرّبها وتحمل منها بعض المنتوجات والسّلع،[٩٢] ومن بين ما اشتهرت به سجلماسة ما يذكره الحميري "وعندهم غلاّت القطن والكمّون والكروياء والحنّاء".[٩٣]

كانت المنتجات تصل إلى مدن المغرب الأوسط عن طريق القوافل التّجارية الّتي كانت تتجوّل في بلاد السّودان أو في المغربين الأدنى والأقصى فيأخذون السّلع والمنتوجات ذاهبين ويرجعون بسلع أخرى آيبين، وخاصّةً المدن الواقعة على الطّرق التّجارية مثل وارجلان، حيث يقول الإدريسي: "فيها قبائل مياسير وتجّار أغنياء يتجوّلون في بلاد السّودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التّبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم"،[٩٤] فكان التّبر أهمّ واردات المغرب الأوسط من بلاد السّودان لاشتهارهم به ولجودته، ولقد برز أهل وارجلان في التّجارة مع بلاد السّودان لأنّهم أعرف النّاس ببيئتها لتشابه نمط العيش وتشابه جغرافية المسالك التّجارية.

ويتصدّر معدن الذّهب قائمة السّلع الّتي تصل إلى المغرب الأوسط من بلاد السّودان ونلمس هذا من خلال ما أورده البكري حيث يقول: "وأفضل الذّهب في بلاده ما كان بمدينة غيارا وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يومًا في بلاد معمورة بقبائل السّودان".[٩٥] وبالإضافة إلى الذّهب كان الرّستميون يستوردون من بلاد السّودان الغربي الأحجار الثّمينة والشّب والعنبر وريش النّعام وغير ذلك من المواد، كما أنّ التّجار الرّستميين أولوا اهتمامًا بالغًا بتجارة العبيد فجلبوا عددًا كبيرًا منهم إلى درجة أنّهم صاروا يشكّلون طبقة اجتماعية لا بأس بها في المجتمع التّهرتي، كما لا نستبعد أنّ هؤلاء التّجار عمدوا إلى المتاجرة بهذه البضاعة بتوزيعها إلى الحواضر الإسلامية الأخرى خارج التراب الرّستمي.[٩٦]

وقد اشتهر المغرب الأقصى ما بين القرن (٣-٥هـ) بإنتاج السّكر النّحاس الّذي يسمّيه الزّهري بـ "النّحاس المصبوغ السّوسي"،[٩٧] ومن خلال ما سيذكره الزّهري يمكننا رصد البلدان والأقاليم الّتي تساق له هذه المنتوجات حيث يقول: "ومن هذه البلاد يجلب السّكر السّوسي إلى إفريقية والمغرب والأندلس وبلاد الرّوم والإفرنج وكذلك النّيل الدّرعي والشّب".[٩٨] ومن خلال هذا النّص الصّريح يمكن لنا أن نحكم حكمًا نسبيًا أنّ هذه المنتوجات كانت تصل إلى المغرب الأوسط بحكم القرب الجغرافي والتعامل التّجاري الدّائم على الطّرق الرّابطة بينهما، كما اشتهرت بلاد السّوس بالألبسة الرّقاق والثّياب الرّفيعة والثّياب الصّوفية الّتي كانت تنسج في مدينة سجلماسة، والّتي كانت تحمل إلى سائر بلاد المغرب بحكم الصّناعة الجيّدة والمتميّزة.[٩٩] كانت تلمسان تستورد من بلاد السّودان الرّقيق والذّهب والملح والنّحاس وريش النّعام، وبعض البهارات مخاصّة الفلفل السّوداني،[١٠٠] أمّا السّلع الواردة من أوروبا فتنحصر في المنسوجات من الجوخ وغيرها، ومن الأسلحة من الرماح وسيوف وخناجر.[١٠١]

خامسًا: عوامل ازدهار التجارة في المغرب الأوسط

اشتركت عوامل عديدة في تنشيط الحركة التّجارية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وإن اختلفت هذه العوامل، إلاّ أنّ كلّ مدينة تميّزت بميزة انفردت بها عن سائر المدن الأخرى، وكلّ ذلك هو السّبب وراء ظهورها كحواضر تجارية، منّت على كثير من أصقاع العالم بخيراتها، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أنّ التّجارة في العهد الرّستمي (١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٦-٩٠٩م) نشطت بشكل كبير، فمن خلال المصادر التّاريخية المعاصرة لها مثل ابن الصّغير، نستشفّ أنّ تهرت كانت قبلة للتّجار الّذين كانوا يفدون إليها من كلّ أصقاع العالم الإسلامي فيقول ابن الصّغير في هذا الصّدد: "واستعملت السّبل من مشرق وغرب بالتّجارة وضرب الأمتعة فأقاموا على ذلك سنتين أو أقلّ من ذلك أو أكثر والعمارة والنّاس والتّجار من كلّ الأقطار تاجرون".[١٠٢] فمن خلال هذا القول يستنتج؛ بأنّ إعمار المدن والحواضر وازدهار التّجارة وإقبال التّجار إليها لا يكون إلاّ إذا توفّر الأمن والاستقرار سواء عبر طرقها

ومسالكها التّجارية أو داخل المدينة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نلاحظ؛ أنّ الخوارج قد لعبوا أدوارًا تفوّقوا بها على الكيانات السّياسية الأخرى في إفريقية والمغرب الأقصى، حيث أنّهم ساهموا في تنشيط الحركة التّجارية بين بلاد السّودان وواحات الصّحراء والمغرب الأوسط إجمالاً، فقد ربطوه بالمشرق الإسلامي وبموانئ البحر المتوسّط،[١٠٣] ويرجع السّبب في ذلك إلى اهتمامهم بالعمارة والبناء وإحياء الموات من الأراضي وغرس البساتين وإجراء الأنهار، فكانت نتيجة ذلك أن أتتهم الوفود والقوافل التّجارية من كلّ أصقاع العالم.[١٠٤]

فمثلا في عهد الدّولة الحمّادية (٣٩٧-٥٤٧هـ/٩٩٧-١١٤٣م) قامت تجارة نشيطة يُعتقد أنّها كانت تتناقل داخليًا وخارجيًا، ففي مدينة جزائر بني مزغنّاي وقسنطينة والمسيلة وغيرها قامت بها أسواق كثيرة كما يحدّثنا الجغرافيون، والبعض منها كانت تتوفّر على طرق تجارية متنوّعة تساعد على إحداث تكامل اقتصادي بواسطة التّبادل التّجاري فيما بينها وفيما بينها وبين الأقطار الخارجية ويستطرد في هذا الشّأن الإدريسي قائلاً: "يُجلب إليها من أقاليمها الزّيت البالغ الجودة والقطران" وعن جزائر بني مزغناي يقول: "يتجهّز بسمنها وعسلها إلى سائر البلاد"،[١٠٥] ويضيف الإدريسي أنّ سمك المسيلة يصطاد ويحمل إلى قلعة بني حمّاد.[١٠٦]

فمثلاً في عهد الدّولة الزّيانية تكوّنت شركة صحراوية هي شركة المقرّبين فقد نقل لسان الدّين الخطيب في الإحاطة عن شيخيه "أبي عبد الله المقرّي" أنّ لجدّه "أبي بكر بن يحيى بن عبد الرّحمان" أربعة إخوة اشتركوا في التّجارة، فمهّدوا طريق الصّحراء بحفر الآبار وتأمين التّجارة، واتّخذوا طبلا للرّحيل وراية تقدّم عند المسير، وكان "أبو بكر بن محمّد" في تلمسان، و"عبد الرّحمان" في سجلماسة، و"عبد الواحد وعلي" في إيوالاين الواقعة في الشّمال الغربي لتمبكتو على (٤٠٠) ميل، فكان التّلمساني يبعث إلى الصّحراء بما يرسم له من السّلع، وذاك يرسل له بالجلد والعاج والجوز والتّبر، والسّجلماسي بينهما كلسان الميزان يعرّفهما بقدر الرّجحان والخسران ويكاتبهما بأحوال التّجارة والبلدان، فاتّسعت أموالهم وعظم شأنهم.[١٠٧] فمن خلال هذا يمكن أن نرصد أنّ لسلامة وأمن الطّرق وتمهيدها أكبر الأثر على حسن سير القوافل التّجارية وتنمية حركتها، وبالتّالي تصبح الحاضرة التّجارية مقصد الكثير من التّجار، هذا من جهة، ومن جهة ثانية نرصد من هذه الرّواية أنّ التّمرسّ على فنّ التّجارة من الأمور الّتي تمكّن الدّول والقبائل والأمم من أن يبلغوا مبلغ التّاج عند السّلطان، حيث أهل الخبرة والثّقة والتّحكم في سير القوافل التّجارية، يلعبون الدّور الحسّاس في إبراز منتجاتهم إلى الدّول المجاورة والنّائية.

وممّا يلاحظ؛ أنّ تطوّر الحركة التّجارية تزامن مع الازدهار الحضاري والعمراني لمدن المغرب الأوسط، وهذا ما ينعكس إيجابًا على مداخيل المدينة نتيجة استقبال الوافدين من التّجار وغيرهم، وفي هذا الصّدد يشير عبد الرّحمن بن خلدون إلى العلاقة بين العمران والازدهار الاقتصادي حيث يقول: "ومتى عظم الدّخل والخرج اتّسعت أحوال السّاكن ووسع المصر"، حيث يكون للمدينة دور في تنمية النّشاط التّجاري على الصّعيد الدّاخلي والخارجي.

أمّا فيما يخصّ دور القبائل الهلالية الّتي توزّعت في نواحي المغرب الأوسط، بما فيها قبائل رياح وزغبة والأثبج ، وحسب ما يورده ابن خلدون في شأنهم فقد كان تاريخهم قاتمًا ولم نجده يذكرهم في أيّ مقام بصفة تمكّننا من أن نحكم عليهم بالإيجاب إزاء تنشيط الحركة التّجارية،[١٠٨] ولم يخلف رأيه آراء المؤرّخين الآخرين إذ يمكننا أنّ نقول بأنّ "هجرة الهلاليين إلى المغرب الأوسط كانت نعمة ونقمة في آن واحد نعمة في تعريب اللّسان ونقمة في تخريب الدّيار"، فبمجرّد انتقالهم من القلعة إلى بجاية[١٠٩] ونحو الجزء الغربي من المغرب الأوسط اضطرت بعض القبائل البربرية للنّزوح نحو المراعي والأراضي ذات الكلأ.[١١٠] ولقد تأثّرت نتيجة ذلك كبرى الحواضر التّجارية مثال تاهرت والقيروان وسجلماسة، ونلاحظ بأنّ هذه المدن كانت من أهمّ المراكز الّتي تتحكّم في الطّرق التّجارية الدّاخلية والخارجية ويبقى السّؤال المطروح هو: هل تعمّدت القبائل الهلالية ذلك رغبةً وطمعًا في إضعاف الحركة التّجارية؟ أم أنّ ذلك جاء نتيجة مسبّبات أخرى لم يتحمّل الهلاليون مسؤوليتها؟

ويجدر بنا الإشارة إلى؛ أنّ التّغريبة الهلالية في المغرب الأوسط كانت أقلّ ضررًا ممّا شهدته طرابلس وبرقة وإفريقية، لأنّ المغرب الأوسط لم يكن هو المقصود بهذه الحملة،[١١١] ونتيجة لهذه الزّحفة -كما يطلق عليها الكثير من المؤرّخين- اندمج الهلاليون مع القبائل البربرية بمرور الوقت، وأصبحوا تجّار إقطاعيين وتخلّصوا من بداوتهم وظهرت عليهم علامات التّحضّر بعدما عرفوا بتعصّبهم للقبيلة،[١١٢] وكان من نتائج ذلك أن سيطروا على الطّرق التّجارية ومياه الآبار، ففرضوا الجزية على سكّان مدن المغرب الأوسط من محاصيل القمح والتّمور والزّيتون فأصبحت التّجارة خاضعة للتّسلّط الهلالي.[١١٣] ويستعرض لنا ابن خلدون عن حادثة تاريخية إذ يقول: "ولمّا ملكت زناتة بلاد المغرب الأوسط ونزلوا بأمصاره، دخل زغبة هؤلاء التّلول وتغلّبوا فيها ووضعوا الأتاوة على الكثير من أهلها"، ولكن مع كلّ ذلك سارت الطّرق التّجارية حتّى في أسوء الظّروف. ومن هذا نستخلص بأنّ الهجرات الهلالية كانت نكبة على المغرب الإسلامي سياسيًا واقتصاديًا.

خاتمة

تعدّدت الطّرق التّجارية في المغرب الأوسط وتشعّبت مسالكها، حيث سارت بين حواضرها ومراسيها، ويجد بنا الإشارة إلى؛ أنّ هذه الطّرق كانت تتعامل مع كلّ الأقطار والأقاليم سواء في البلاد الإسلامية، أو الدّول المقابلة له من الضّفة الأخرى، فالازدهار الحضاري الّذي شهدته دول المغرب الأوسط لم تكن بمعزل عن حاجتها للطّرق التّجارية الّتي مكّنته من ولوج صرح الحركة التجارية، غير أنّ هذه الطّرق لم تكن وليدة العدم وإنّما تحكّمت في ظهورها

الكثير من العوامل الّتي لا نكاد نخصّ واحدًا منها إلاّ كان الثّاني مكمّلاً لها، فطبيعة الموقع الاستراتيجي الّذي تمتّع به جعله مركزًا تجاريًا مهمًّا ومنفذًا رئيسًا إلى الأقاليم الجنوبية والمغربين الأدنى والأقصى بحكم أنّه بوابة المغرب الإسلامي نظرًا لشاسعته وطبيعة مدنه وأقاليمه الّتي تتنوّع من حيث التّضاريس الجبلية والسّهلية والهضاب، الّذي ينعكس على تنوّع المنتجات والمحاصيل الزّراعية والّتي تُوجّه للتّصدير، بالإضافة إلى أنّ المغرب الأوسط انحصر بين المغرب الأقصى والمغرب الأدنى وبلاد السّودان، فمن الضّروري اتّخاذ طرقه دليلاً واصلاً إلى حواضر المغرب الإسلامي كفاس والقيروان وميورقة وألميرية.

ومن العوامل الّتي ساعدت على إيجاد الطّرق التّجارية وتنوّعها هو وجود كيانات سياسية تمثّلت في الدّولة المستقلّة الّتي عملت على تنشيطها وأمنها واستقرارها من أجل قضاء ما تحتاجه من الواردات قصد دعم قوّتها السّياسية والاقتصادية، فحتّى مع وجود بعض الإضرابات والفتن والقرصنة فإنّ عمليات التّبادل التّجاري لم تركن عند نفسها. كما أنّ وجود الأسواق وبخس أثمان السّلع في حواضر المغرب الأوسط ونوعية منتجاتها ومصداقية تجارها جعلها تكسب ثقة التجار، وجعلت القوافل التّجارية تقفل صوبه.

الهَوامِشُ:

(١) شقداد بسام كمال عبد الرّزاق، **تلمسان في العهد الزّياني (٦٣٣هـ-٩٦٢هـ/١٢٣٥م-١٥٥٥م)**، رسالة ماجيستير، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٢، ص١٩٥.

(٢) الإدريسي، **المغرب وأرض السودان ومصر (مأخوذة من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)**، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٦٤، ص٢٥٠-٢٥٢.

(٣) بوزيان الدّراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢١٥.

(٤) عبد الحميد حاجيات وآخرون: **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، طبعة خاصّة، منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ١٩٥٤، ٢٠٠٧، ص١٥٢.

(٥) البكري أبي عبيد، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د-ت)، ص٦٤-٦٥.

(٦) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٧) **الزّاب**: يضمّ الزّاب إقليمًا يضمّ خمسة مدن وهي: (بسكرة، البرج، نفطة، تلكة، دوسن)، وفي بلاد الجريد حاليًا نفس عدد المدن وهي: (توزر، قفصة، نفزاوة، الحمة، قابس)، ويجيء بعد هذا الإقليم إلى جهة الشّرق (جزيرة جربة، غريان، مسلاتة، مسراتة، تاورغة، غدامس فزان، أوجلة، برداي والواحات)، يُنظر: الفاسي الحسن بن محمّد الوزان: **وصف إفريقيا**، تر: محمّد حجّي، محمّد الأخضر، ج١، ط٣، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣، ص٣٢.

(٨) عبد الكريم يوسف جودة، **العلاقات الخارجية للدّولة الرّستمية**، المؤسّسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤، ص٢٨٩-٢٩٣.

(٩) خالد بلعربي، **العلاقات التّجارية بين تاهرت ومراكز التّجارة في بلاد المغرب والأندلس حتّى أواخر القرن الثّالث الهجري**، "مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية"، ع٥، منشورات مكتبة الرّشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، ٢٠٠٦، ص٢٣٧.

(١٠) ابن الصّغير: **أخبار الأئمة الرّستميين**، تحقيق، محمّد ناصر وإبراهيم بحّاز، مركز الوثائق الاجتماعية والاقتصادية، ١٩٨٦، ص١٢.

(١١) عبد الحميد وآخرون حاجيات، المرجع السابق، ص٧١.

(١٢) فطيمة مطّهري، **مدينة تيهرت الرّستمية (دراسة تاريخية وحضارية القرن ٢هـ/٣هـ – ٨م/٩م)**، رسالة ماجيستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية– قسم التّاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، ٢٠٠٩-٢٠١٠، ص ١٧٤.

(١٣) خالد بلعربي، المرجع السابق، ص٢٣٨.

(١٤) عبد الكريم يوسف جودة، المرجع السابق، ص٢٢٤.

(١٥) الإدريسي: المصدر السّابق، ص٨٢.

(١٦) البكري أبي عبيد، المصدر السّابق، ص١٥٨.

(١٧) المصدر نفسه، ص١٤٩.

(١٨) **أودغست**: أو أودغشت، وهي مدينة بين صحراء لمتونة والسّودان، وهي بين جبلين شبه مكّة في الصّفة: يُنظر: الحميري محمّد بن عبد المنعم، **الرّوض المعطار في أخبار الأقطار**، تحقيق: إحسان عبّاس، ط٢، مطابع هيدلبرغ، ١٩٨٣، ص٦٣.

(١٩) محمّد عيسى الحريري، **الدّولة الرّستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وسياستها بالمغرب والأندلس ١٦٠-٢٩٦هـ)**، دار العلم للنّشر والتّوزيع، ط٣، ١٩٨٧، ص٢١٠.

(٢٠) **كوكو**: هي مدينة مشهورة الذّكر في بلاد السّودان: الحميري، المصدر السّابق، ص٥٠٢.

(٢١) بحاز إبراهيم بكير، **الدّولة الرّستمية ١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٦-٩٠٩م (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)**، ط٣، منشورات ألفا، الجزائر، ٢٠١٠، ص٢٦٠.

(٢٢) عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص٧٢.

(٢٣) بحاز إبراهيم بكير، المرجع السّابق، ص٢٦٢.

(٢٤) الطّاهر قدوري، **المسالك البحرية في المغرب الوسيط خلال القرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م**، "مجلّة التسامح"، جوان، ٢٠١٠، ص ٥-٦.

(٢٥) المرجع نفسه، ص٦.

(٢٦) الحميري، المصدر نفسه، ص٥٦٨.

(٢٧) الإدريسي، المصدر نفسه، ص٢٤٩.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٢٥٠.

(٢٩) بسام كمال عبد الرّزاق شقداد، المرجع السّابق، ص١٩٥.

(٣٠) بوزيان الدّراجي، المرجع السّابق، ص٢١٧.

(٣١) حسن أحمد خضيري، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب**، مكتبة مدبولي، (د-ت)، ط١، ص٩٥.

(٣٢) محمّد العبدري البلنسي، **الرّحلة المغربية**، تقديم، بوفلاقة سعد، منشورات بونة للبحوث والدّراسات، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٢٧.

(٣٣) ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٦، ص٧٧.

(٣٤) بوزيان الدّراجي، المرجع السّابق، ص٢١٥.

(٣٥) نفسه، ص٢١٦.

(٣٦) العبدري، المصدر السّابق، ص٢١.

(٣٧) عبد الرّحمان بن خلدون، **التّعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرق**، تحقيق، محمّد بن تاويت الطّنجي، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٥-١٦.

(٣٨) مؤلّف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النّشر المغربية، الدّار البيضاء، المغرب الأقصى، ١٩٨٥، ص١٣٣.

(٣٩) ابن حوقل، المصدر السابق، ص٧٨.

(٤٠) التنسي محمّد بن عبد الله، **تاريخ ملوك بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق، محمود بوعياد، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥، ص ١٣٠-١٣٢.

(٤١) محمّد الطّمار، **تلمسان عبر العصور (دورها في سياسة وحضارة الجزائر)**، تقديم عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٢٠٩.

(٤٢) الإدريسي، المصدر السّابق، ص١٧٢.

(٤٣) الحميري، المصدر السّابق، ص٥٩٧.

(٤٤) شكيب أرسلان: **الحلل السّندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، ج١، ط١، المطبعة الرّحانية، ١٩٣٦، ص٦٩.

(٤٥) مقديش محمود، **نزهة الأنظار في عجائب التّواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزّواوي ومحمّد محفوظ، المجلّد الأوّل، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨، ص١٦٤.

(٤٦) الحميري، المصدر السابق، ص٥٣٨.

(٤٧) البكري، المصدر السّابق، ص٥٥.

(٤٨) عبد الحميد حاجيات، المرجع السّابق، ص١٥٧.

(٤٩) الحميري، المصدر السّابق، ص٥٣٨.

(٥٠) مجهول، المصدر السابق، ص١٢٦.

(٥١) الحميري، المصدر السّابق، ص٥٣٨.

(٥٢) المصدر نفسه، ص٥٣٩.

(٥٣) البكري، المصدر السّابق، ص٦٥.

(٥٤) الإدريسي، المصدر السابق، ص٨٩.

(٥٥) الحميري، المصدر السّابق، ص٥٣٨.

(٥٦) مجهول، المصدر السّابق، ص١٣١.

(٥٧) المصدر نفسه، ص١٢٧.

(٥٨) ابن حوقل، **المسالك والممالك**، مطبع بريل، ١٨٧٢، ص٥١.

(٥٩) الإدريسي، المصدر السابق، ص٨٤.

(٦٠) المصدر نفسه، ص – ص ١١٦-١١٧.

(٦١) الإدريسي، المصدر السابق، ص٨٤.

(٦٢) مجهول، المصدر السّابق، ص١٣٤.

(٦٣) الإدريسي، المصدر السابق، ص٨٤.

(٦٤) المصدر نفسه، ص٢٥٠.

(٦٥) البكري، المصدر السّابق، ص٧٦.

(٦٦) ابن الأحمر، **تاريخ الدّولة الزّيانية**، تحقيق: هاني سلامة، مكتبة الثّقافة الدّينية، ط١، ٢٠٠٠، ص – ص٤٦-٤٨.

(٦٧) العبدري، المصدر السّابق، ص٢٧-٢٨.

(٦٨) صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، طبعة خاصّة، منشورات المركز الوطني للبحث والدّراسات في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ١٩٥٤، ٢٠٠٧، ص٢٤٧.

(٦٩) الحميري، المصدر السّابق، ص٥٥٨.

(٧٠) عيسى بن الذيب، **الحواضر والمراكز الثّقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للبحث والدّراسات في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ١٩٥٤، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٨٧.

(٧١) ابن حوقل، المصدر السّابق، ص ٨٦-٨٨.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ٨٦-٨٨.

(٧٣) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٥، دار صادر بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص١٣٠.

(٧٤) المقدسي، **أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبع بريل، ١٨٧٧، ص٢٢٨.

(٧٥) اليعقوبي، **البلدان**، تحقيق، محمّد أمين ضنّاوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢، ص – ص ١٩٥-١٩٧.

(٧٦) المقدسي، المصدر السّابق، ص٢٢٨.

(٧٧) ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص٣٦.

(٧٨) عبد الحميد حاجيات، المرجع السّابق، ص٧٠.

(٧٩) محمّد عيسى الحريري، المرجع السّابق، ص٢١٠.

(٨٠) مقديش محمود، المصدر السّابق، ص١٢٨.

(٨١) الإدريسي، المصدر السّابق، ص١٢٠-١٢١.

(٨٢) الحميري، المصدر السّابق، ص٦٤.

(٨٣) ابن حوقل، المصدر السابق، ص٨٥.

(٨٤) المصدر نفسه، ص٨٥.

(٨٥) محمّد عيسى الحريري، المرجع السّابق، ص٢٠٩.

(٨٦) ابن حوقل، المصدر السابق، ص٧٧.

(٨٧) المصدر نفسه، ص٧٧.

(٨٨) مجهول، المصدر السابق، ص١٣٣.

(٨٩) الحميري، المصدر السّابق، ص ١٢٦.

(٩٠) ابن حوقل، المصدر السابق، ص٧٧.

(٩١) الزّهري أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق، محمّد حاج صادق، مكتبة الثّقافة الدّينية، (د- ت)، ص١١٣-١١٤.

(٩٢) محمّد عيسى الحريري، المرجع السّابق، ص٢٠٩.

(٩٣) الحميري، المصدر السّابق، ص٣٠٥.

(٩٤) الإدريسي، المصدر السابق، ص١٢٠-١٢١.
(٩٥) البكري، المصدر السابق، ص١٧٦.
(٩٦) حاجيات عبد الحميد وآخرون، المرجع السّابق، ص٧٢-٧٣.
(٩٧) الزّهري، المصدر السّابق، ص١١٧-١١٨.
(٩٨) المصدر نفسه، ص١١٧-١١٨.
(٩٩) علي محمّد البياتي بان، **النّشاط التّجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (٣-٥هـ/٩-١١م)**، رسالة ماجيستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص٧٧.
(١٠٠) بسام كمال عبد الرّزاق شقداد، المرجع السّابق، ص١٩٩.
(١٠١) بوزيان الدّراجي، المرجع السّابق، ص٢١٥.
(١٠٢) ابن الصّغير، المصدر السابق، ص٣٦-٣٧.
(١٠٣) عيسى قوراري، **تطوّر المدن بالمغرب الإسلامي وعلاقتها- العلاقات التجارية ببلاد السّودان خلال القرنين ٣هـ-٤هـ/٩م-١٠م**، المركز الجامعي بمدينة الجزائر، ص١٠.
(١٠٤) المرجع نفسه، ص٣٥-٣٦.
(١٠٥) عويس عبد الحليم، **دولة بني حمّاد (صفحة رائعة من التاريخ الجزائري)**، دار الوفاء، ١٩٩١، ط٢، ص٢٢٧-٢٢٨.
(١٠٦) الإدريسي، المصدر السابق، ص٨٦.
(١٠٧) محمّد الطّمار، المرجع السّابق، ص٢٠٨-٢٠٩.
(١٠٨) عبد الرّحمان بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، ج٦، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠، ص١٧-٧٥.
(١٠٩) جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقته بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر، محمود عبد الصّمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص٢٣٠.
(١١٠) نجيب زبيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، ج٢، تقديم، أحمد ابن سودة، ط١، دار الأمير، ١٩٩٥، ص٢١٨.
(١١١) عبد الحليم عويس، المرجع السّابق، ص١٧٨.
(١١٢) جورج مارسيه، المرجع السّابق، ص٢٣٩.
(١١٣) عبد الرّحمان بن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر**، المصدر السّابق، ص٥٤.